

## ماذا نقول في وداعك يا ضيفنا العزيز؟



يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في وداع شهر رمضان: «ونحن مودِّعون وداع من عزِّ فراقه علينا وغمِّنا، وأوحشنا انصرافه عنَّا».

يغادرنا شهر رمضان، والحسرة تطبع قلوب المؤمنين العارفين بقيمة هذا الشهر وأهميته، فرغم أنَّهم عانوا من الجوع والعطش والحرمان، وما صاحبه من أوضاعٍ قلقة، إلا أنَّهم يشعرون بأنَّهم سيفقدون بغيابه نعمةً كبيرةً، وأيّ نعمة هي أكبر ممَّا أودع في هذا الشهر من بركات، حيث الأنفاس كانت فيه تسابيح، والنوم عبادة، والعمل مقبول، والدُّعاء مستجاب، والأجر مضاعف أضعافاً كثيرة.. شهرٌ فيه ليلةٌ هي من خير ألف شهر، يتحسَّسون فيه الفرح عند إفطاره، والأنس في ليله وأسحاره، شهر تلاقى العائلات والأرحام والمؤمنين، شهر لا يشعر فيه الفقير بفقره، ولا اليتيم ببيته، ولا ذو الحاجة بأنَّه يعاني وحده، وهذا ما أشار إليه.. ولذا كان يتوجَّه (عليه السلام) إليه بالقول: «السلام عليك يا شهر [ ] يا عيد أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوبٍ من الأوقات، ويا خير شهرٍ من الأيام والساعات.. السلام عليك من شهرٍ قرُّبت فيه الآمال، ونشرت فيه الأعمال.. السلام عليك من قرينٍ جلَّ قدره موجوداً، وأفجع فقده مفقوداً.. ومرجواً آلم فراقه.. السلام عليك، ما أكثر عتقاء [ ] فيك! وما أسعد مَن رعى

حرمته بك! السلام عليك، ما كان أمحاك للذنوب، وأسترك لأنواع العيوب! السلام عليك، ما كان أطولك على المجرمين، وأهيبك في صدور المؤمنين».

ويبقى السؤال هنا: هل عندما يغادرنا الشهر نغادره، ليعود كلُّ إلى سابق عهده، وكأنَّ شهر رمضان لم يمرَّ علينا، وبذلك يكون هذا الشهر شهراً فريداً من السنة وينتهي بانتهائه؟

الأمر ليس كذلك، فإنَّ سبحانه لم يرد لشهر رمضان أن يكون كذلك، بل أراد أن يكون سيِّد الشهور وقائدها وعمدتها، وقد جعل من حقِّه علينا بأن نستمرَّ بعد انتهائه في أن نعيش روح هذا الشهر في نفوسنا وعقولنا وسلوكنا وتطلُّعاتنا على مدى العام، فنتابع ما بدأناه فيه من العبادة والدُّعاء وقراءة القرآن والتهجُّد في الليالي، والصدقة وإكرام الأيتام وأداء النوافل وصلة الأرحام والجيران، والتردُّد إلى المساجد والحرص على صلاة الجماعة.. نعم، قد لا يكون ذلك بالصورة التي عليها في شهر رمضان، حيث الظروف مهيَّأة لذلك ممَّا لا يتوفَّر في بقيَّة الشهور، ولكن لا بدَّ من عدم الانقطاع.. والأمر نفسه في الانضباط في كلماتنا وتصرفاتنا، حيث ينبغي أن تبقى كلمة «إنِّي صائم» حاضرة لدينا، وهذه المرَّة الصيام عن الحرام، وبأن نداوم الصيام عن الطعام والشراب، سواء الصيام في المناسبات، أو الصيام العام.

لا يكفي حتى نضمن نتائج هذا الشهر أن نصومه ونقوم بالواجبات فيه، بل لا بدَّ من أن نسأل أنفسنا أن يتقبَّله منَّا. والقبول لا يتحقَّق إلا بتحقيق الهدف المرسوم لهذا الشهر، وهو إحداث التغيير في داخلنا، بأن نكون قد امتلكننا القدرة على الإمساك بزمام أنفسنا، فلا نعود أسرى لها، بل تصبح أسيرة لنا، بحيث نحركها حيث ينبغي أن نكون، نحزُّر عقولنا من الباطل، وقلوبنا من الحقد والبغضاء والعصبية، وألسنتنا من الكذب والغيبة والنميمة، ونصير أكثر استجابةً للخير، وعوناً للفقراء والمساكين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووقوفاً في مواجهة الظالمين.

وقد اختصر القرآن ذلك بالتقوى، عندما قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) (البقرة/ 183). والتقوى تعني التغيير لحساب الله، هي تعني أن يخشى الإنسان ربه، فلا يقدرِّم رجلاً ولا يؤخِّر أًخرى حتى يعلم أنَّ فيها رضا.. هو أن يجده الله حيث أمره، ويفقده حيث نهاه.. والتقوى أن يكون الإنسان في كلِّ الساحات التي أرادها الله، ساحات الخير والعمل الصالح وخدمة عباد الله، وأن يبتعد عن كلِّ الساحات التي تُسيء إلى حياة الناس ومستقبلهم.

